مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٣/٢٠١٢ هـ.ق، العدد ١٩ (٣) ١٣٣-١٤٨

# جماليّة الإنزياح البيانيّ في المفارقة القرآنيّة

حميد عباس‌زاده[١]، محمد خاقاني[٢]، نصراله شاملي[٣]، سيد محمدرضا ابن الرسول[٤]

تاريخ الوصول: ١٤٣٢/٣/٤ تاريخ القبول: ١٤٣٣/٨/٢٨

**تمثّل المفارقة إحدى المقوّمات الأدبية والسمات الأسلوبية للخطاب القرآني؛ إذ تُخرج اللغةَ المألوفة إلى المستوى الأدبي بالانزياح الدلالي، فتعطيها زخماً دلالياً، ودفقاً جمالياً، وبُعداً إيحائياً؛ *إذ إنّ المفارقة أسلوب يعبّر عن معنىً ما بشكل يخالف ظاهره السطحيّ ذلك المعنى؛ فالقارئ يجد التباين والخلاف بين السطح والعمق. بعبارة أخرى يوجد في التعبير الواحد مستويان للمعنى: مستوى سطحي، ومستوى كامن، والقارئ بإدراك التعارض بينهما يتوصّل إلى المعنى المنشود.* هذه المقالة تستجلي بمنهج وصفي تحليلي الملامح الجمالية للمفارقات القرآنيّة التى تصوّر الكفّار في مواقفهم المختلفة. وتفادياً لأيّ إساءة فهم، أو سوء تفاهم، نلفت بادئ ذي بدء، انتباه القارئ الكريم إلى أنّنا نريد المفارقة بوصفها إحدى روافد أدبية الخطاب، وأدوات التصوير الفنّي. تؤدّي المفارقة دورها في جماليّة القرآن بمؤثّرات جماليّة، هي: التغريب، والإيجاز، وإبراز اللفظ والمعنى في ضدهما، والصدق، والتهويل، والتهكّم.**

**الكلمات الرئيسة: القرآن الكريم، الانزياح الدلاليّ، المفارقة، أدبيّة الخطاب**

---

١. طالب مرحلة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان.

٢. أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان، Email: mohammadkhagani@yahoo.com

٣. أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان.

٤. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان.

**مقدّمة**

إن القضايا المتعلقة بالفكر الإبداعي والنقدي متواصلة منذ عهد اليونان والرومان، وخصوصاً قضية الهوية الجمالية، وهي ما أطلق عليه النقاد لفظ «الشعرية، والشاعرية، والإنشائية، والأدبية، والجمالية...؛ وما إلى ذلك» (ناظم، ١٩٩٤م، ص١١١-١٤٠). والدراسات النقدية منذ القدم، ما زالت تستمر من أجل تحديد عناصر هذه الهوية عند الأديب. والأدبيّة (Literariness) تعني العوامل التي يستمدّ منها الخطاب أدبيّته، وهي تتجلّى في «الإنزياح» (Ecart /Deviation) الذي يعني الإبتعاد عن المألوف السائد في مختلف مستويات الخطاب، بغية تحقيق فائدة دلاليّة أو غيرها. وتُعَدّ «المفارقة» (Irony) من مظاهر الإنزياح الدلاليّ (Semantic deviation)؛ لأنها تعبير قائم على التناقض بين معنيين ظاهر وخفيّ؛ ففى مقام التهكّم والإستنكار إذا خاطبت المخطئ بكلمات الإعجاب والإستحسان، كقولك: «أحسنت وأجملت»، قام تعبيرك على المفارقة؛ لأنّه يخالف المألوف في هذا الموقف. فقد عبّرت بأسلوب يحفّز ذهن السامع ليتجاوز المعنى الظاهري المتناقض للعبارة حتى يصل إلى المعاني الخفيّة.

يتركز البحث على استجلاء الملامح الجمالية للمفارقات القرآنيّة لمختلف مواقف الكفّار؛ لأنّ حياتهم تعجّ بالمفارقات على مستوى الفكر والعمل والقول. وقد واعتمدت في هذا التقسيم على كتاب «المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة» للدكتور محمد العبد. وقد اشتمل البحث على ١٦١ آية من مجموع ٤٦٠ آية متعلّقة بالكفّار. تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية: ماذا تعني المفارقة؟ ألا ينافي وجود المفارقة في الذكر الحكيم الإعتقاد بأنّه كتاب لا يأتيه الباطل؟ ما هي المؤثّرات الجمالية للمفارقة القرآنيّة؟

**خلفيّة البحث**

حظيت المفارقة الأدبية بدراسات مستقلة كثيرة، من أهمّها بحثان لـــ «دي. سي. ميويك» ضمن «موسوعة المصطلح النقدي» أوّلهما بعنوان «المفارقة» وثانيهما بعنوان «المفارقة وصفاتها» تناول الكاتب فيهما المفارقة وتطورها من حيث المفهوم والأنواع والعناصر والوظائف، مستقياً نماذجها من عيون الأدب الغربيّ. ومن الدراسات العربية تجدر الإشارة إلى كتاب «البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث» لـــمصطفى السعدني، حيث يعتبرها من السمات الأسلوبيّة (Style Markers) للخطاب مؤكّداً إمكانية تحقيق المفارقة على المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية والإيقاعية (لا تا، ٢١٣) وللدكتورة نبيلة إبراهيم بحث منشور في مجلة «فصول» بعنوان «المفارقة» حاولت خلاله تحديد مفهوم المصطلح مستعينة بما لدى الغربيين واستشهدت بنماذج من الأدب العربي قديمه وحديثه.

وفي مجال الدراسات القرآنيّة فقد حظيت دراسة المفارقة القرآنية بجهود مستقلّة يتصدّرها كتاب «المفارقة القرآنية دراسة في بنية الكلمة والدلالة» لـــ أ.د. محمد العبد، تناول فيه المفارقة على غرار «دي. سي. ميويك» من حيث تعريفها وتقسيمها، وتبيين مقوّماتها؛ لكنّه لم يتطرّق إلى الوظيفة الجماليّة للمفارقة، واقتفاء آثارها في التراث النقديّ والبلاغيّ؛ وذلك ما نسعى وراءه في هذا المقال.

### ١- أضواء على المصطلح

#### ١-١- المفارقة لغةً واصطلاحاً

المفارقة لغةً تقابل مصطلحين أحدهما: "Paradox" والثاني: "Irony" والأوّل مشتق من لفظة "Paradoxum" اللاتينية المكوّنة من "Para" أي المناقض، و"doxa" التي تعني الرأي والعقيدة (Guralink. B; 1986 ; P. 1029). إذن يعني

"Paradox" أنّ يكون في العبارة تناقض ظاهريّ يزول بعد التدقيق والتفتيش. وأما Irony فيعني «التعبير عن موقف ما على غير ما يستلزمه... وتعني أيضاً حدوث ما لا يتوقّع» (عبدالرحمن، ١٩٧٩م، ص٦١). قد ورد "Irony" لأوّل مرة في كتاب أفلاطون «الجمهورية» على لسان أحد من الذين وقعوا فريسة محاورات سقراط (إبراهيم، ١٩٨٧م، ١٣١) ممّا يقطع باليقين في كون المصطلح فلسفيّاً. حدّثنا أرسطو عن ظهور هذا الفن قائلاً: «"أوميروس" أول من أظهر شكل صناعة هجاء ليس فيه الهجاء فقط، ولكن من باب الإستهزاء والمطانزة» (أرسطوطاليس، ١٩٧٣م، ص ٩٢ و٩٣).

أما المفارقة اصطلاحاً، فهي أسلوب يعبّر عن معنىً ما بشكل يخالف ظاهره ذلك المعنى؛ فنجد التباين والخلاف بين السطح والعمق. والمناطقة يعتبرون القضيتين متناقضتين، إذا استلزم صدق إحداهما، كذب الأخرى (Edward,1988:vol5,6-P71)، لذلك يجب أنّ تتّحد القضيتان في تسعة أمور وتختلفا في ثلاثة. أمّا الوحدات التسع فهي الوحدة في كلٍّ من الموضوع والمحمول والمكان والزمان والشرط والإضافة، والجزء والكلّ، والقوّة والفعل، والحمل، أما الإختلافات الثلاثة فهي الكمّ، والكيف، والجهة؛ كقولنا: «ليس بعض المثلثات شكلاً» و«كلّ مثلث شكل» (قراملكي، ١٣٧٧هـ.ش، ص ١٦٦). وللمفارقة الأدبية مقوّمات ومحدّدات هي، أوّلا: وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد المستوى السطحي، والمستوى الكامن، ثانياً: إدراك التعارض بين الحقائق على المستوى الشكلي للنص، وثالثاً: وجود ضحية في المفارقة (إبراهيم، ١٩٧٨م، ص١٣٣).

وفي اللغة العربية معادلان لــ "Paradox"، الأول هو المفارقة، والثاني «التناقض الظاهري» (علوش، ١٩٨٥م، ص ١٦٢). تفيد المعاجم العربية أنّ المفارقة هي الفرق والإفتراق والفصل والتباعد والتباين والتمييز بين شيئين أو أمرين أو موقفين (ابن منظور، ١٩٩٧م، ج٥، ص١٢٠، ومصطفى، وآخرون، ١٩٨٩م، ج ٢، ص٦٨٥)، لاسيما إذا كان الأمران على طرفي نقيض.

واتّسع النطاق الدلالي لهذا المصطلح إلى النقد الأدبي والبلاغة؛ حيث شاع استخدامه فيهما كمصطلح سائد، له دلالته الخاصة. وعلى الرغم من المفارقة في علم المنطق فإنّ المفارقة الأدبية ليست عديمة المعنى، لأنها «عبارة تبدو متناقضة، أو غير معقولة في ظاهرها، مع أنها بالفحص والتأمل يتبيّن أنّ لها أساساً من الحقيقة» (وهبة، والمهندس، ١٩٨٤م، ص ١٢٣و ٣٧٦).

والمعتمد في هذا المقال، هو المفارقة الأدبية، كقوله تعالى يصف طعام أهل النار: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ (الغاشية، ٦-٧). تجمع هذه الآية بين طرفين متباعدين؛ إذ لا يمكن اعتبار الضريع طعاماً للإنسان؟ لأنّ «الضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس، وإذا وقعت فيه الإبل لم تشبع وهلكت هزلاً» (ابن قتيبة، ١٩٥٨م، ص ٤٨)، كما قالوا إنه نبت لاترعاه دابّة (الطبرسي، ١٣٧٩هـ.ق، ج ٥، ص٤٧٨)، وإذا رعته يضرّ ولا ينفع (الطوسي، ١٤٠٩هـ. ق، ج١٠، ص ٣٣٤)، ومنها قوله: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ (الحاقّة، ٣٦)، وقد فُسِّر الغسلين بصديد أهل النار وما يجرى منهم من دم وقيح و... (الطبرسي، ١٣٧٩هـ. ش، ج ٥، ص٣٤٧، الطوسي، ١٤٠٩هـ. ق، ج١٠، ص٣٤٧).

### ١-٢- المفارقة في المدوّنة البلاغية والنقدية

تزخر روائع الأدب العالمي بالمفارقة، منها «أوبنيشاد»، أحد الكتب الدينية القديمة للهنود (چناري، ١٣٧٧هـ.ش، ص ٨). وليس الأدب العربي بدعاً حيث تطالعنا المفارقة بأنماطها

المختلفة في نتاجاته من الجاهلية إلى يومنا هذا رغم الذين اعتبروا المفارقة تحفة وافدة إلينا من الغرب (السحيباني، ١٩٩٧م، ص٣٠) نجد هذا الفنّ مشاراً إليه في الكتب النقدية والبلاغية القديمة. ومن أقدم نماذجها، قول امرئ القيس في وصف فرسه بحومة الوغى:

مِكَــرٍّ مِــفَرٍّ مُقْبِــلٍ مُدْبِــرٍ معاً

كجُلمودِ صَخْرٍ حَطّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

(أبوالفضل إبراهيم، ١٩٦٤م، ص ١٩)

فهذه صورة إبداعية ترسم الفرس، وهو يقدم ويكرّ في اللحظة الحاسمة، ويترك المكان مسرعاً في اللحظة المناسبة، فهو في حركته صخرة ضخمة دفعها سيل قويّ من مرتفَع، فقد عرض الشاعر بوضوح وجهتي نظر متقاطعتين متضادّتين في صورة واحدة ولحظة خاطفة.

وتناول القدامى، المصطلح تسمية وتعريفاً، منهم أبوالفرج قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، الذي عدّ المفارقة إمارة لحذق الشاعر وبراعته (لا تا، ص ٦٦) واشترط لصحة المناقضة (المفارقة) عدم كونها من جهة واحدة ومثّل لذلك بقوله: «زيد أعمى بصير القلب» فيكون ذلك صحيحاً، فأما إذا كان من جهة واحدة، كقولنا في إنسان واحد: إنه أعمى العين بصيرها، فلا. (م. ن، ص ١٩٩)، واعتبر قدامة من التناقض قول «ابن هرمة: تراهُ إذا أبصرَ الضيفَ كلبُه يكلّمهُ مِن حبّه وهو أعجمُ فإن هذا الشاعر أقنى الكلب الكلام، في قولــه: إنه يكلّمه، ثم أعدمه إياه عند قولــه: إنه أعجم، من غير أنّ يزيد في القول ما يدل على أنّ ما ذكره إنما أجراه على طريق الإستعارة» (م. ن، ص ١٩٩). وتناول عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١ أو٤٧٤هـ) الموضوع من خلال التشبيهات المتباعدة التي تعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى تختصر بعد المشرقين والمغربين فتأتي بالحياة والموت معاً، وتجعل الشخص حاضراً وغائباً، كقول القائل:

أيا غائباً حاضراً في الفؤادِ

سَلامٌ على الحَاضرِ الغائبِ

(١٩٨٨م، ص ٥٥، وما بعدها)

وتابع المشوار بعد الجرجاني، أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن منقذ (ت٥٨٤هـ) (١٩٨٧م، ص ٢٢٢)، وابن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ) (١٩٥٧م، ص ٣٢٣، و١٣٨٣هـ، ص ٦٠٧).

لقد اصطلح القدامى على هذا الفن بالمناقضة، كما اتخذ أسامة ابن منقذ (ت٥٨٤هـ) «المعارضة» و«المناقضة» اسمين لها (١٩٨٧م، ص ٢٢٢). علماً أنّ هناك محسّنات أخرى مماثلة للمفارقة، منها «جمع المختلفة والمؤتلفة» (ابن أبي الإصبع، ١٩٥٧م، ص١٢٧)، و«الإئتلاف مع الإختلاف» (الأندلسي، ١٩٨٩م، ص٢٥٩)؛ فمن الإئتلاف مع الإختلاف ما يجمع الشاعر فيه بين أمور مؤتلفة متناسقة وما يقابلها من مفاهيم متضادة، كقول الشاعر العباس بن الأحنف (ت ١٩٢هـ):

وِصالُكم هَجْرٌ، وَحُــبُّكم قِــلًى

وعَطفُكم صَدٌّ، وسِلْمُكم حَربُ

(م.ن، ص.ن)

فقد أتى الشاعر بمؤتلفات، وهي الوصال، والحبّ، و...، مسنداً إلى كلٍّ منها ما يخالفه ويضادّه من الهجر، والقلى، والصدّ، والحرب. وهناك مصطلحات بلاغية أخرى قد لامست بعض دلالات مصطلح المفارقة، من ذلك «الذمّ بما يشبه المدح»، و«العكس»، و«الرجوع»، و«التكافؤ»، وفي بعض حالات «التضاد».

## ٢- المفارقة القرآنية بين الإثبات والنفي

إنّ الحديث عن المفارقة في القرآن معقّد لاتصاله بشبهة التناقض والإختلاف في القرآن. فمن جهة تنفي الآيات القرآنيّة الإختلاف والتناقض عن القرآن بمنهج استدلالي،

كقوله تعالى: ﴿... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ (النساء، ٨٢)، ومن جهة أخرى هناك آيات تبدو متناقضة في الوهلة الأولى،كقوله تعالى: ﴿نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (التوبة، ٦٧)، فكيف يمكن الجمع بين الأمرين؟ وما المقصود بوجود المفارقة في القرآن؟ إنّ شبهة التناقض في القرآن تدّعي وجود التناقض المنطقيّ فيه؛ وهذا مرفوض عقلاً، إذ المفارقة المنطقية قضية باطلة عديمة المعنى، بينما المفارقات القرآن أدبيّة لها دلالات عميقة ودقيقة؛ إضافة إلى أدلة نقليّة كثيرة ترفض مزاعم وجود التناقض في القرآن رفضاً قاطعاً، منها ردود الإمام عليّ (ع) على شبهات زنديق حول وجود التناقض في القرآن (المجلسيّ، ١٩٨٣م، ج٩٣، ص ٩٨-١٤٢) ومنها أيضاً ما رُوِي عن الإمام الرضا (ع) في تفسير آيات قرآنيّة تنسب الإستهزاء والمكر والخداع إلى الله سبحانه وتعالى، بقوله: «إنّ الله تعالى لا يسخر، ولا يستهزئ، ولا يمكر، ولا يخادع؛ ولكنّه تعالى يجازيهم جزاء السخريّة وجزاء الإستهزاء وجزاء المكر والخديعة، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً» (عطاردي، ١٤٠٦هـ. ق، ج١، ص ٣٨٣) إذن المفارقة القرآنية المقصودة في هذه المقالة، أدبيّة بحتة هادفة تُعدّ صياغة لغوية قائمة على التناقض بين المعنى الظاهري والمعنى الخفي.

**٣) أنماط المفارقة القرآنية**

تطالعنا المفارقة في النص القرآني بتمظهرات متعددة تؤدّى أدوارها بما يناسب السياق، ومردّ ذلك إلى أنّ «النص الأدبي وجود عائم، فمبدعه يطلقه في فضاء اللغة سابحاً فيها إلى أنّ يتناوله القارئ، ويأخذ في تقرير حقيقته. والنصوص "شوارد" على تعبير أبي الطيب المتنبي» (الغذامي، ١٩٩٨م، ص٢٨). وقد ذكر محمد العبد ثمانية أنماط للمفارقة (٢٠٠٦م، صص٤٢-١٦٦) اكتفينا بدراسة ثلاث منها لضيق المجال من جهة، ولملائمتها طبيعة الإنزياح الدلالي. والمفارقات التي ندرسها هي مفارقة المفهوم، ومفارقة السلوك الحركي، والمفارقة اللفظية كما سمّاها محمد العبد.

**٣-١- مفارقة المفهوم**

نعني بها وجود التناقض بين تصرّفات الإنسان وبين التشخيص الفعلي، فـــ«يبنى التضادّ في هذا النوع على أساس التعارض بين موقف الضحيّة أو مفهومها للأشياء أو مسلكها، وهو عادة غريب وخاطئ ومثار انتقاد، ومايجب أن يكون عليه الأمر» (م.ن، ص١٢١). من أبرز نماذجها في تصوير الفهم الخاطئ قوله تعالى يصف الأخسرين أعمالاً: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا *الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف، ١٠٣-١٠٥). هذه الآيات تصوّر الأخسرين أعمالاً الذين يظنون بأنهم محسنون، وتوضّح نوعاً من المفارقة بين المحسوب والمنشود، بتعبير آخر يظنّ الإنسان المخطئ أنه مصيب، فبدلاً من تداركه الخطأ يسير على نهجه السابق. ومن نماذجها قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج، ٤٧)، فالمفارقة أنهم يستعجلون عذاباً محتوماً يدوم أكثر مما يظنون، بينما المعقول عدم الإستعجال والبحث عن حلّ لتفادي العذاب. وهذه المفارقة تبرز خطأهم في حساباتهم كما أنها تستنكر مدركاتهم، وتتهكم فيهم.

كشفت إحصائيّة الآيات المتعلّقة بأحوال الكافرين أنّ مفارقة المفهوم هي أساس جميع مفارقاتهم، فلولا أفكارهم المنحرفة لما فارقت أعمالهم أقوالهم. لقد بلغت مفارقة

المفهوم ٣٥٪ من مجموع المفارقات. ومن حيث الموضوع فتدور مفارقات الكفار المفهومية في المحاور التالية: الله سبحانه، والرسالة وما يتعلّق بها، والقيامة، وأنفسهم. فيما يلي نتوقف عند بعض نماذجها:

**٣-١-١- الله سبحانه وتعالى**

ترسم الآيات القرآنية الملامح الفكريّة الخاطئة للكفار والمفارقة فيها أنّهم يلحّون على مواقفهم الخاطئة الخاسرة بعد ما تبين لهم الهدى وجاءهم الحق. والمتوقَّع في هذا الموقف أنّ يغيّر الإنسان منهجه ويخضع لسلطان العقل. حسبنا هنا نماذج من مفارقاتهم الفكريّة عن الله سبحانه؛ حيث إنّهم يجعلون له أنداداً (إبراهيم،٣٠) ويخلقون من دون الله ما لا يغني عنهم شيئاً (الحج، ٧٣) ويزعمون أنّه اتخذ ولداً (الأنبياء، ٢٦) وأنّه غافل عن أعمالهم (إبراهيم، ٤٢)، وأنّه ليس محيطاً بكثير من أعمالهم (فصلت، ٢٢و٢٣).

**٣-١-٢- الرسالة**

إن الرسول الأعظم(ص) يشكل المحور الثاني في مفارقات الكفّار فقد حاولوا نفي الرسالة وإنكار صلة الرسول بالسماء ونفي الوحيانيّة من القرآن. وأهمّ ما أثاروه حول الرسول (ص) إبداؤهم العجب من مجيئه منذراً (ص ٤-٨، ق ٢).

**٣-١-٣- القيامة والدار الآخرة**

تشكل القيامة والبعث والنشور والعذاب هاجساً للكفّار، فنجدهم ينكرون القيامة والبعث (آل عمران،١٠، والرعد، ٥، والإسراء، ٤٩-٥١، و٩٨، والمؤمنون، ٣٥-٣٧)، كما يعجبون بما أوتوا من أموال وأولاد (آل عمران ٩١، والمائدة ٣٦، وهود ٧) أو مساكن (الحشر، ٢) أو قوّة (فصلت، ١٥)، زاعمين أنها تدفع عنهم العذاب وتغنيهم من الله شيئاً. هذا التذبذب الفكري إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على زيفهم وانحرافهم الفكري.

**٣-١-٤- الكفّار وقضاياهم**

يظنّ الكفار بأنفسهم خيراً فمن جانب يدّعون الإصلاح (البقرة، ١١و١٢)، ومن جانب آخر يسفّهون المؤمنين بالله واليوم الآخر (البقرة، ١٣) كذلك يرون أنفسهم قادرين على إطفاء النور الإلهي، فيريدون ذلك (التوبة، ٢٣، والصف، ٨) ويتّبعون ظنونهم بإمكان الخلاص من العذاب بأموالهم وأولادهم وآلهتهم (آل عمران،١٠، و٩١، والمائدة، ٣٦، والحشر،٢) وكذلك يخيّل إليهم أنّ الإملاء الإلهي خير لهم (آل عمران، ١٧٨) أو يظنون أنّ أعمالهم تنفعهم (إبراهيم ١٨).

للمفارقة المفهومية وظيفة عقليّة أو فكريّة؛ حيث إنها تثبت زيف مزاعم الكفار وبطلان ادعاءاتهم، كما أنها ترسي دعائم الفكر الإسلامي الأصيل للمؤمنين وتوفّر لهم زاداً فكرياً خصباً يتزوّدن به في درء الشبهات وطيّ الطريق إلى الله.

**٣-٢- مفارقة السلوك الحركي**

يوفّق الإنسان عادةً - في حدود مقدراته العقلية والجسمية - بين المؤثّرات أو المثيرات المحيطة به وبين ردوده عليها، إلا أنّ هناك مواقف حرجة تُربكنا فتسلبنا زمام المبادرة، فنعجز عن احتوائها والإستجابة لها بشكل موضوعيّ وبالتالي نتخبط في تصرفاتنا، ونسلك مسلكاً غريباً لا يبرّر عقلاً، وللفارق الكبير بين الموقف الحادث وردّ الفعل الصادر نسمي هذه مفارقة السلوك الحركي،كقوله تعالى: ﴿...يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَٰعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالكافِرينَ﴾ (البقرة، ١٩)، فعندما يحدق الموت المحتوم في الإنسان، فالمتوقَّع أنّ يدبّر الإنسان الموقف

بتدبير شاف، كأن يلوذ مثلاً بالفرار؛ لكنه في سلوك مفارقيّ يقوم بوضع أصابعه في آذانه، وأيضاً كقوله تعالى: ﴿يُريدونَ لِيُطفِؤُوا نُورَ اللهِ بأفواهِهِم واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ ولو كرِهَ الكفِرُونَ﴾ (الصف، ٨)، في المنحرفين الذين يُدعَون إلى الإسلام، والباعث على المفارقة تصرّفهم المثير للسخرية؛ حيث يحاولون إطفاء نوره تعالى بأفواههم في حين أنّ النور لا يمكن إطفاؤه لانتشاره في الجوّ؛ بل يمكن إطفاء مصدر النور أحياناً. وممّا يثير الإستغراب، قوله تعالى في وصف الكفّار: ﴿ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (هود، ٥) فهؤلاء بدلاً من رفض الإيمان بصراحة يغطّون وجوههم بثيابهم أو يثنون صدورهم. وبهذا السلوك الـــمَرَضيّ ينكشف تخلّفهم الفكري. ومن المفارقات السلوكية للكفار في الآخرة أنّهم لدى رؤية العذاب يعضّون على أيديهم تحسّراً: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ...﴾ (الفرقان، ٢٧) بينما العضّ على اليدين جهد العاجزين، فلا يجديهم نفعاً.

تفوق نسبة مفارقات الكفّار السلوكية، النمطين الآخرين للمفارقة؛ حيث بلغت ٤٣٪ من إجماليّ المفارقات. ومن حيث الموضوع تدور المفارقات السلوكية في المحاور التالية:

**٣-٢-١- تجارتهم الخاسرة**

إذا منيت التجارة بالفشل والخسارة، فعلى الإنسان أن يتركها أو يغيّرها إلى تجارة رابحة، وإصراره على هذه التجارة دليل على انحرافه الفكريّ وداعٍ إلى السخريّة. لقد رسم القرآن الكريم مفارقة الكفّار باشترائهم الظواهر التافهة الفانية كالدنيا والضلالة والكفر بالظواهر الخالدة كالآخرة، والهدى، والإيمان، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة، ١٦).

**٣-٢-٢- استعجال العذاب**

المألوف المعقول أنّ نبذل ما بوسعنا لدفع الأذى والبلاء عن أنفسنا. كثيراً ما يصوّر القرآن الكفّار يستعجلون العذاب ويستبطؤون الوعد الإلهيّ؛ فهذا تصرّف لا يُتوقّع ولا يُعقَل، لاسيّما بعد ما خلت المثلات من قبل، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (العنكبوت،٥٣). وقد حذّرهم الله تعالى عن مغبّة استجالعهم هذا، ونهاهم عنه بقوله: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الأنبياء، ٣٧).

**٣-٢-٣- كفرهم بعد شهود الآيات**

من المفارقات السلوكيّة للكفّار أنّهم بعدما شهدوا الآيات واستيقنتها أنفسهم لم يؤمنوا فحسب؛ بل صدّوا عن سبيل الله وكذّبوا. فقد صوّر القرآن كلّ هذه التصرفات المفارقية كالتالي: ﴿فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل، ١٣و١٤).

**٣-٣- المفارقة اللفظية**

تبرز المفارقة اللفظية عندما يعكس ظاهرُ الدلالة القضية، ويحسّس القارئ بالمغايرة بين المبنى والمعنى، وهنا يمرّ القارئ بثنائيّة حادّة بين اللفظ والمعنى؛ وعرّف محمد العبد المفارقة اللفظية بقوله: «هي شكل من أشكال القول يساق فيه معنى ما في حين يقصد منه معنى آخر يخالف غالباً المعنى السطحي الظاهر» (٢٠٠٦م، ص ٥٤) وهذا النمط كثير

في القرآن كقوله تعالى في تلقّي الكفّار ثواب أعمالهم المنكرة: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطفّفين، ٣٦)؛ ومنها استخدام البشرى مع العذاب، كقوله تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة، ٣٤)، ومنها استخدام المأوى لجهنم ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ...﴾ (السجدة، ٢٠) إن التثويب يتعلّق بصالح الأعمال، والبشرى تخصّ الأخبار السارّة، والمأوى هو المكان الذي يأوي إليه الإنسان ليستريح، فهذه الإستخدامات تزيد الطاقة التهكمية لهاتين المفارقتين اللفظيتين. ويزيد انعدامُ التطابق بين الألفاظ الإحساسَ بأدبية المفارقة اللفظية، ومن ثمّ يثير ذهن المتلقّي ليستخبر الواقع. وقد اعتمد القرآن هذه المفارقة في تصوير أحوال الكفّار في الدارين. وردت المفارقة اللفظية بنسبة ٢٢٪ في الآيات المتعلقة بالكفّار. وأهمّ المحاور للمفارقات اللفظية كالتالي:

**٣-٣-١- مستقرّهم في الآخرة**

لقد عبّر القرآن عن مستقرّ الكافرين في الآخرة من خلال تعابير استعاريّة تهكميّة قائمة على المفارقة اللفظية؛ حيث يجسّده بكلمات كـــ المأوى، والمهاد والمثوى، ممّا يقتضي كون هذه الأماكن مريحة معزولة عن أيّ أذى؛ إلا أنها قرنت بالنار والعذاب الأليم وههنا تكمن المفارقة، من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران، ١٩٧)

**٣-٣-٢- مأكلهم، ومشربهم وملبسهم**

لقد عبّر القرآن عن مستقرّ الكفّار ومأكلهم وملبسهم ومشربهم بتعابير مفارقيّة تهكميّة تثير الإستغراب والدهشة والسخرية، فقد وصف مأكلهم بأنّه من شجر من الزقوم (الواقعة، ٥٢) ثمّ يعقبه بقوله:﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الواقعة، ٥٦) وفي قوله «نُزُل» مفارقة لأنّ النزل أوّل ما يُقدَّم للضيف من طعام وشراب، والزقّوم سمّي نزلاً؛ بينما وصف الله تعالى الزقوم بقوله: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات، ٦٤). كما وصف القرآن مشربهم بأنه ماء صديد (إبراهيم، ١٦)، أو شراب من حميم (الأنعام، ٧٠، ويونس، ٤)، أو ماء كالمهل (الكهف، ٢٩). لا يصلح مثل هذا الماء أنّ يشفي غلّة العطشان، فالصديد هو القيح، والحميم ماء شديد الحرارة (الراغب، ١٤٢٦هـ. ق، ٤٧٧)، والمهل هو النحاس المذاب أو درديّ الزيت (ابن منظور، ١٩٩٧م، ج٦، ص ١٠٥).

أمّا ملبسهم فمرّة يصفه القرآن بأنّ سرابيلهم من قطران (إبراهيم، ٥٠) وأخرى يصفه بأنه قِطعٌ من النار (الحج، ١٩) هذا التعبير يأتي في حين أنّ مفرد السرابيل أي السربال يعني القميص والدرع (ابن منظور، ١٩٩٧م، ج٣، ص ٢٧١) وهذان يحفظان الإنسان من حرّ الصيف وبرد الشتاء وبأس العدوّ كما ورد في التتريل: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ (النحل، ٨١).

**٣-٣-٣- أحوالهم**

إنّ أحوال الكافرين مبعث استهزاء واعتبار، فمن سوء أحوالهم أنّهم يشرحون بالكفر صدراً، لقوله تعالى: ﴿...وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل، ١٠٦) مهما يكن من أمر، فمن المستحيل أنّ يجلب الكفر لأهله شرح الصدر؛ بل إنّه يضيّق الصدر لقوله تعالى: ﴿...وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ...﴾ (الأنعام، ١٢٥) والمفارقة في حال الكفّار أنّه ينشرح صدرهم بما لا يمكن أن يكون عاملاً لشرح الصدر.

ومن أحوالهم التي تتجلّى فيها المفارقة أنّهم يُهدَون إلى طريق جهنم، حيث يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ...﴾ (النساء، ١٦٨و١٦٩) فالهداية من الألطاف الإلهية، لكن استعمالها مع جهنم يعدّ استعارة تهكمية (الراغب، ١٤٢٦هـ.ق،٨٣٥) وتوجّه هذه المفارقة إنذاراً شديداً إلى هذه الطائفة كما أنّها تشكل اعتباراً لغيرهم.

ومن سوء أحوال الكفار في القيامة أنّ سكرات الموت تحلّ عليهم وتحيط بهم من كل جانب، لكنهم لا يموتون فيستريحوا من تلك الشدائد والأهوال، بل يتقلّبون بين شتى ألوان العذاب الأليم؛ إذ يقول القرآن: ﴿... وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ (إبراهيم، ١٧) وبهذا يُستدَل على أنّ المفارقة ليست مجرّد تقنية أدبية، بل إنها وسيلة ناجحة في معالجة الواقع الراهن والواقع المستقبلي.

### ٤- الوظيفة الجمالية للمفارقة القرآنية

تدين المفارقة في أداء وظيفتها الجمالية إلى عوامل، أهمّها: التغريب، إبراز اللفظ والمعنى في ضدهما، الإيجاز، الصدق، التهويل، والتهكم. فيما أدناه ننعم النظر في هذه العوامل.

#### ٤-١- التغريب

إن المفارقة تنقذ الخطاب من الإبتذال بفضل التغريب (Defamiliarization) الذي اعتبره الشكلانيون الروس وظيفة الأدب (شميسا، ١٣٨٦ هـ. ش، ص ١٧٤- ١٧٧)؛ لأنّها تعيد صياغة الصورة المألوفة إعادة جديدة مخالفة للسائد، فتظهر الصورة على خلاف المتوقَّع وتدفع القارئ إلى اكتشاف النص المتواري خلف الظاهر. بناء على مقولة التغريب عندما يظهر اللفظ والمعنى بسحنة غريبة، يبدءان حياة ثانية، وهكذا يوفّران رؤية جديدة للمتلقي. وفي شأن التغريب يصرّح «يان موكارفسكي» (J.Mukarovsky) بأن: «اللغة الشعرية دائماً تعيد موقف الإنسان من اللغة ومن علاقة اللغة بالواقع، وتجلو بطرق جديدة التأليف الداخلي للعلامة اللغوية، وتكشف إمكانيات جديدة لاستخدامها» (أبوديب، ١٩٨٧م، ص١٧)، كما ألمح الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) إلى ذلك، حين قارن بين رجلين أوتيا حظاً متساوياً في البلاغة، لكنهما مختلفان في الملبس والمظهر والحسب والنسب والشهرة والخمول، أحدهما دميم خامل، والآخر وسيم أنيق ذائع الصيت، فبيّن أنّ استغراب الناس للأوّل أشدّ وأكثر من استغرابهم لصاحبه، لأنّ الأوّل كسر المتوقّعات؛ وعلّل الجاحظ ذلك بقوله:

«... لأنّ النفوس كانت له أحقر ومن بيانهِ أيأس ومن جسده أبعد، فإذا هجموا منه على ما لم يكونوا يحتسبونه، وظهر منه خلافُ ما قدَّروه، تضاعفَ حُسْنُ كلامه في صدورهم، وكبر في عيونهم، لأن الشئ من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع» (١٩٨٥م، ج ١، ص ٨٩).

وفي القرآن الكريم كمّ هائل من المفارقات التي تثير الإستغراب وتعيد صياغة الفكرة لتؤثر في المتلقي: ﴿...وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ...﴾ (البقرة، ٢٥٧) فالغرابة تظهر في تصرّف أوليائهم لأنهم يخرجون الكفار من النور إلى الظلمات، بينما الولاية تقتضي عكس ذلك.

#### ٤-٢- إبراز اللفظ والمعنى في ضدّهما

إنّ الكلمة ليست لها قيمة في ذاتها، بل إن قيمتها في حسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها (الجرجاني، ٢٠٠٤م، ص

٤٤)، وإلى هذا أشار الناقد الغربي «ريتشاردز» (I.A.Richards) بقوله: «وليس للكلمات في ذاتها صفات أدبية خاصّة ولا توجد كلمة قبيحة، أو جميلة في ذاتها... ولكن لكلّ كلمة مجالاً في التأثيرات الممكنة يختلف طبقاً للظروف التي توجد فيها» (١٩٦٢م، ص ١٩١ و١٩٢). ففي الأمثلة التالية للمفارقة تتكوّن التعابير من كلمات مألوفة، لكنها بارزة تثير الإنتباه، لتوزيعها على مبدأ التضادّ، كقوله تعالى: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران، ١٩٧) وقوله: ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (فصلت، ٢٤) وقوله: ﴿...فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة،٣٤)، وقوله: ﴿...فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات، ٢٣)، فالبشرى والعذاب الأليم والهداية إلى الجحيم وكون النار مثوى ومهاداً، كلها ألفاظ مألوفة، لكنها برزت ملفتة للأنظار في هذه التراكيب المفارقية لالتقائها بما يخالفها؛ إذ لا يمكن للنار أنّ تكون مهاداً أو مثوى، كما لايلائم العذابُ البشريّ، ولا تناسب الهداية الجحيم.

### ٤-٣- الإيجاز

إن الإيجاز ركيزة رئيسة في أدبية الخطاب ويجعله نصاً منفتحاً (Open text). يتجلى إيجاز المفارقة لدى إعادة التعبير عنها في تركيب عادي، فهل يتمنّى لك التعبير الموجز عن الفكرة المطوية في الآيات التالية مع الحفاظ على بلاغتها: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطفّفين، ٣٦)، أو في: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ (الواقعة، ٩٣)؟ هكذا تبدو المفارقة ضرباً من التأنق من الناحية الأسلوبية، وهدفها الأول: «إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذيراً. وصاحب المفارقة المتمرّس يستعمل من الإشارات أقلها» (دي. سي، ١٩٩٣م، ج٤، ص١٩٠).

### ٤-٤- الصدق

إنّ القضايا القرآنية تموج صدقاً واقعياً، وفنياً. أما صدق الواقع القرآني فهو أنّ القضايا القرآنية تصدر عن معاناة حقيقية يعيشها الإنسان في واقع حياته بغضّ النظر عن الحقبة الزمنية المعيشة. فعندما يمرّ الإنسان بهذه التجارب فعلاً يأتي نتاجها صدى لنفسه وصورة لفكره. وأما الصدق الفنّي فيتمثّل في التناغم بين التعبير القرآني، والقضايا المختلفة؛ بحيث يخيّل إلى القارئ أنّ المبدع خاض تلك القضايا وعاشها. يتحقّق الصدق الفني إذا انطلق التعبير عن عاطفة صادقة تجعل المتلقي يشعر بما يشعر به المبدع ويتفاعل معه. ومن أدوات هذا الصدق، الخيال والتصوير الفني واختيار الكلمات الملائمة للموضوع. ونجحت التعابير في تحقيق الصدق لأنّ المفارقة تكشف ازدواجية الموقف، وبفضلها يتحقّق الصدق؛ على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان، ٤٩)، فالسياق القرآني لـــ «العزيز الكريم» يدلّ على أنّ هذا الشخص لا يتمتّع بأدنى مراتب العزة والكرامة فحسب، بل إنه ليس من الكرامة في شيء؛ فعلى حسب تعريف العزة والكرامة في الدنيا يسلبه الله كل مقوّمات العزة والكرامة. كانت عزته وكرامته الفانية بكثرة الموالي والأنصار، ورغد العيش بتمتعه بألوان الأطعمة المريئة، كما كان يشفي غلّته للعزة والكرامة إعزازُ أنصاره له بتقديمه على الجميع لدى مشيه، وتصديره المجلس وإعلاء مكانه في القوم؛ لكنه اليوم يفقد ذلك جميعاً؛ فكلما تقدّم به الزمان في هذا اليوم ازداد ذلاً، ففي الخطوة الأولى يتبدد جمعه، فيُحضَر إلى الحشر بمرأى من الجميع ومسمع منهم فيجد نفسه مخذولاً: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (الدخان، ٤١)، وفي الخطوة الثانية يُطعَم بطعام لا يستسيغه أو بما لا يمكن عدّه طعاماً: ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ (الدخان،

٤٣ و٤٤)، وبعد ذلك يُسَاقُ ويُلقَى في الجحيم: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ﴾ (الدخان، ٤٧)؛ وفي نهاية المطاف تكتمل حلقات الخذلان؛ إذ يسفل إلى أعماق الذلّ، حيثُ يقول تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ (الدخان، ٤٨)، ويُصَبّ فوق رأسه الحميم، والظرف «فَوقَ رأسِهِ» يجسد مدى تدرّجه وانحطاطه في درجات الذلّ؛ فكم كان البون بين هذا المحقَّر المذلَّل والعزيز الكريم؟! فهو الذي يزعم نفسه عزيزاً كريماً، لكنه لا يلبث أن يكشف التصوير القرآني عن زيف مزاعمه. فكلما تجسّد البون الشاسع بين الموقفين، حقّقت المفارقة الصدق؛ فإنها قنطرة من حقيقة دقيقة مشهودة إلى حقيقة عظيمة غير مشهودة.

### ٤–٥– التهويل

بما أنّ المفارقة صورة هادفة تصدر عن وعي بالموقف، فتحقّق التقريب بين واقعتين متباعدتين، وهنا نجد فيها التهويل، فقوّة تهويل الصورة منوطة بمدى البعد بين علاقات الواقعتين المقرّبتين، وبذلك تمهّد المفارقة للتأثير الإنفعالي الذي يعقبه التأثير العقلي. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأتِ رَبَّهُ مُجرِماً فَإِنّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَموتُ فِيها ولا يَحيَا﴾ (طه، ٧٤)؛ هذه الآية تنطوي على وصف مفارقي لأحوال المجرمين في جهنّم تنقله عن لسان السحرة الذين آمنوا برب موسى عليه السلام، فالمجرمون في حيرة وقلق؛ لأنّهم على حسب التفاسير، لا يموتون فيستريحوا من العذاب، ولا يحيون فيها حياة بلا عقاب؛ بل إنهم معاقَبون بشتّى ألوان العذاب الذي لا منتهى له (الطوسي، ١٤٠٩هـ، ج ٧، ص١٩١، والطبرسي، ١٣٧٩هـ، ج٤، ص٢١). عندما يتصور السامع هذا الموقف يساوره هول عظيم. ومن المفارقة المهوّلة قوله تعالى ﴿...فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ...﴾ (الحج، ١٩) ففي هذا المشهد تطالعنا ملابس محوكة بالنار فتثير الرعب في النفوس؛ إذ إنّها تصوّر النار تحيط بالكافرين ولا يمكنهم الخلاص منها؛ فهي تلازمهم ملازمة الثوب للابسه.

### ٤–٦– التهكم

يخرج التهكم من صميم المفارقة، ولا نستبعد إذا قلنا إنهما امتزج بعضهما بالبعض امتزاج الماء بالصهباء، مما يجعل المفارقة من آليات التهكم. ومن نماذجه القرآنية قوله تعالى: ﴿وظِلٍّ مِن يَحمومٍ﴾ (الواقعة، ٤٣)، وقوله تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ (المرسلات، ٣١ و٣٠)، يخبرنا القرآن أنّ أصحاب الشمال لدى رؤية أعمدة الدخان المتصاعدة يحسبونها ظلاً وارفاً دائماً يقيهم حرّ ذلك اليوم، فيُهرَعون إليه لكنه تتقطع القلوب لديه حسرة، وتخيب الظنون دونه، إذ يجدون أنفسهم فيما لايشبه الظلّ في شيء، لا في برودته ولا في بلوله، بل إنه ظلّ أسود محرق، فالتعبير تحكمه علاقة مفارقة تهكمية تتهكم بأصحاب الشمال؛ فلفظة «الظلّ» تستحضر إلى الذهن ظلّاً ظليلاً وارفاً وريحاً بليلاً؛ إلا أنه حسب السياق التصويري هنا «ظلّ ولا ظلّ» (سيد قطب؛ ٢٠٠٢م: ٨٥). والمشاهد التالية ترسم مفارقات تهكمية: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾(الكهف، ٢٩)، و﴿...وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ (إبراهيم، ٢٨) و﴿...وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الحج، ٤). فالقرآن يعد الكفار المهل لدى الإستغاثة، كما تتجسّد مفارقتهم السلوكية في إحلال قومهم دار البوار أو الهداية إلى السعير والسعير ليس من الهداية في شئ. ومن المفارقات السلوكية الباعثة على التهكم قوله تعالى: ﴿... إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾

(الحج، ۷۳) تحدّثنا الآية عن عقلية الكفار والمثير للسخرية فيهم أنّهم يعبدون أوثاناً لاتقدر على توفير الأمن لنفسها أمام الذباب الذي يعد أضعف المخلوقات، فكيف يمكنها توفير الأمن لمن يعبدها؟ إن الطالب إذا كان ضعيفا، فمن الممكن أنّ يجبر ضعفه بقوة المطلوب، وإذا كان المطلوب ضعيفاً، فــلا قــيمة لقوة الطالب، وإذا كان الطالب والمطلوب ضعيفين، فهنا تكمن المفارقة.

**نتائج البحث**

آتت جولتنا هذه في القرآن الكريم، ثمارها كالتالي:

– لا تقتصر وظيفة المفارقة على الأدبية، بل إنها تتسع لتقوم في ذات الوقت بوظائف عقلية، ونفسية؛ مما يلائم وظيفة الأدب المتمثلة في تكوين رؤية جديدة نحو الحياة وقضاياها، لذلك لم يعتمد القرآن الكريم المفارقة من منطلق جمالي بحت، وإنما اعتمدها بوصفها فناً ذا وظيفة توعوية توجيهية يجعل المتلقي يطيل التفكير لاستبطان حقائق الحياة واكتناهها.

– أكثر الحقول الدلالية توظيفاً للمفارقة في القرآن الكريم هو أحوال الكفّار وأعمالهم في الدارين، والكشف عن بطلان معتقداتهم وزيفها، وتوجيه الإنتقاد إليهم لمواقفهم البعيدة عن الموضوعية والعقل.

– إن الأساس في جميع المفارقات اللفظية والسلوكيّة هو المفارقة المفهومية؛ لأنّ الإنسان عندما يخطئ في الفهم يمتدّ خطؤه ليتجلّى في أفعاله وأقواله.

– التضاد بين المظهر والمخبر في المفارقة هو الذي يثير علامات الإستفهام في ذهن المتلقي، فيدفعه إلى بذل جهد فكريّ لاستخبار الواقع والحقيقة.

– مؤثّرات المفارقة في المتلقي ومقوّماتها الجمالية تتلخص في النقاط الآتية: التغريب، وإبراز اللفظ والمعنى في ضدهما، والإيجاز، والصدق، والتهويل، والتهكم.

– يقترح الباحثون القيام بدراسة موضوعية في المفارقات القرآنية تشمل النماذج البشريّة المختلفة في القرآن، للإستنارة بنتائجها في الدراسات الأدبية والتفسيريّة؛ فمن شأنها أنّ تقدّم للمعنيين بالأمر معلومات يمكن اغتنامها في حلّ الكثير من مختلف القضايا العالقة.

**المصادر والمراجع**

**المصادر العربية**

[۱] القرآن الكريم.

[۲] ابن أبي الإصبع المصري، عبد العظيم بن عبد الواحد (۱۹٥۷م)، بديع القرآن. تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة، نهضة مصر.

[۳] ــــــ، (۱۳۸۳هـ.ق)، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة، نهضة مصر.

[٤] ابن قتيبة الدينوريّ، أبو محمد عبدالله بن مسلم (۱۹٥۸م)، تأويل مشكل القرآن. تحقيق: أحمد صقر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

[٥] ابن مالك الأندلسي، بدرالدين محمد بن مالك (۱۹۸۹م)، المصباح في المعاني والبيان والبديع. تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف، القاهرة، مكتبة الآداب.

[٦] ابن منقذ، أسامة (۱۹۸۷م)، البديع في نقد الشعر، تحقيق: عبد.آ. علي مهنا، بيروت، دار الكتب العلمية.

[۷] ابن منظور، محمد بن مكّرم (۱۹۹۷م)، لسان العرب. ط۱، بيروت، دار صادر.

[٨] أبوديب، كمال (١٩٨٧م)، في الشعرية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.
[٩] أبوالفضل إبراهيم، محمد (١٩٦٤م)، ديوان امرئ القيس. ط٢، القاهرة، دار المعارف.
[١٠] أرسطو طاليس (١٩٧٣م)، فن الشعر. ترجمة: عبدالرحمن بدوي، بيروت، دار الثقافة.
[١١] الجاحظ، عمرو بن بحر (١٩٨٥م)، البيان والتبيين. تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٥، القاهرة، مطبعة المدني.
[١٢] الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (١٩٨٨م)، أسرار البلاغة في علم البيان. تحقيق: محمد عبده، تعليق: السيّد محمد رشيد رضا، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة.
[١٣] دي. سي. ميويك (١٩٩٣م)، موسوعة المصطلح النقدي. ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، ط١، بيروت، المؤسسة العربية لدراسات والنشر.
[١٤] الراغب الأصفهانى، الحسين بن محمد (١٤٢٦هـ.ق)، مفردات ألفاظ القرآن الكريم. تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٥، قم، منشورات ذوي القربى.
[١٥] ريتشار دز. آ. إي (١٩٦٢م)، مبادئ النقد الأدبي، ترجمة: مصطفى بدوي، القاهرة، المؤسسة المصرية العامّة.
[١٦] السعدني، مصطفى (لا تا)، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، الإسكندرية، منشأة المعارف.
[١٧] سيد قطب (٢٠٠٢م)، مشاهد القيامة في القرآن. ط ١٤، القاهرة، دار الشروق.
[١٨] الطبرسي، الفضل بن الحسن (١٣٧٩م)، مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت، دار إحياء التراث العربية.
[١٩] الطوسي، محمد بن الحسن (١٤٠٩ هـ.ق)، التبيان في تفسير القرآن. تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، (الأفست).
[٢٠] العبد، محمد (٢٠٠٦م)، المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة. ط٢، القاهرة، مكتبة الآداب.
[٢١] عبدالرحمن، نصرت (١٩٧٩م)، في النقد الحديث؛ دراسة في مذاهب نقدية وأصولها الفكرية. ط ١، عمان، مكتبة الأقصى.
[٢٢] عبدالله السحيباني، بدرية (١٩٩٧م)، المفارقة في الشعر العربي المعاصر. رسالة ماجستير، إشراف: مسعد العطوي، جامعة بغداد، كلية التربية.
[٢٣] عطاردي، عزيز الله (١٤٠٦هـ.ق)، مسند الإمام الرضا عليه السلام. مشهد، آستان قدس رضوى.
[٢٤] علوش، سعيد (١٩٨٥م)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. بيروت، دار الكتاب اللبناني.
[٢٥] الغذامي، محمّد عبدالله (١٩٩٨م)، الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية. ط٤، القاهرة، الهيئة المصرية العامّة.
[٢٦] فضل، صلاح (١٩٨٧م)، نظرية البنائيّة في النقد الأدبي. ط٣، بغداد، دار الشؤون الثقافيّة العامّة.
[٢٧] قدامة بن جعفر، أبوالفرج (لا تا)، نقد الشعر. تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، بيروت، دار الكتب العلمية.
[٢٨] المجلسي، محمّد باقر (١٩٨٣م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار. ط٣، بيروت، مؤسسة الوفاء.
[٢٩] مصطفى، إبراهيم وآخرون (١٩٨٩م)، المعجم الوسيط. استانبول، دار الدعوة.
[٣٠] ناظم، حسن (١٩٩٤م)، مفاهيم شعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمناهج والمفاهيم. بيروت، المركز الثقافي العربي.

[٣١] وهبة، مجدي، والمهندس،كامل (١٩٨٤م)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. ط٢، بيروت، مكتبة لبنان.

**مصادر فارسية**

[٣٢] چناري، أمير (١٣٧٧هـ.ش)، متناقض نمايي در شعر فارسي. طهران، نشر وپژوهش فرزان.

[٣٣] شميسا، سيروس (١٣٨٦هـ.ش)، كليات سبك‌شناسى. ط٢، طهران، نشر ميترا.

[٣٤] قراملكى، أحد فرامرز (١٣٧٧هـ.ش)، منطق. طهران، دانشگاه پيام نور(جامعة بيام نور).

**مقالات**

[٣٥] إبراهيم، نبيلة (١٩٨٧م)، المفارقة. مجلة فصول، القاهرة، مجلد ٧، العدد ٣-٤.

**مصادر إنجليزية**

[36] Edwards, P.(1998). *The Encyclopedia of Philosophy*. New york, Macmilan, publishing. Simpson. A.

[37] Guralink, David B(1986 ). *Websters New World Dictionary*, prentice Hall press, New York.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

# زیبایی‌شناسی هنجارگریزی بیانی در ناسازوارهای قرآنی

**حمید عباس‌زاده[١]، محمد خاقانی[٢]، نصراله شاملی[٣]، سید محمدرضا ابن الرسول[٤]**

تاریخ دریافت: ١٣٨٩/١١/١٩ تاریخ پذیرش: ١٣٩١/٤/٢٨

ناسازوار یکی از عوامل ادبیت ومختصه‌های سبک ساز قرآن است؛ به گونه ای که زبان عادی را به وسیله هنجارگریزی معنایی به سطح ادبی ارتقا می‌دهد، در نتیجه به کلام بار معنایی، و زیبایی شناختی وبُعدی الهام بخش می‌دهد؛ زیرا ناسازوار شیوه ای از بیان یک معناست که روساخت گزاره با زیر ساخت آن تفاوت دارد وخواننده این اختلاف بین سطح وعمق را درمی یابد؛ به دیگر سخن، معنا در یک گزاره، دو سطح دارد: سطح پیدا وسطح ناپیدا که خواننده با دریافت تعارض میان آن دو معنای مورد نظر را در می‌یابد. این مقاله با روش توصیفی تحلیلی، جنبه‌های زیبایی شناختی ناسازوارهای قرآنی مربوط به کافران را در موقعیت های مختلف آنان نشان می‌دهد. به منظور پرهیز از هرگونه سوء برداشت یا سوء تفاهم، توجه خواننده محترم را به این نکته معطوف می‌داریم که منظور از وجود تناقض در قرآن، ناسازوار منطقی نیست؛ بلکه منظور، ناسازوار به مثابه یکی از مؤلفه‌های ادبیت کلام و ابزارهای تصویرگری هنری است. ناسازوار به واسطه عواملی در زیبایی قرآن نقش ایفا می کند که عبارتند از: آشنایی زدایی، ایجاز، برجسته سازی لفظ ومعنا، صدق، تهویل، وتهکّم.

**کلید واژگان: قرآن کریم، هنجارگریزی معنایی، ناسازوار، ادبیت کلام.**

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

---

١. طالب مرحلة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان.
٢. أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان، Email: mohammadkhagani@yahoo.com
٣. أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان.
٤. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان.

# Aesthetic Rhetorical Deviation in the Qur'ānic Iyronies

**Hamid Abbāszadeh[1] , Mohammad Khāqāni[2], Nasrollāh Shāmeli[3], Sayyed Mohammmād Reza Ibnorrasool[4]**

Received: 2011/2/8 Accepted: 2012/7/18

Ironies are of literariness factors and style markers in the Holy Qur'ān. By making use of semantic deviation, they advance an ordinary language to the literary level. Consequently, ironies give the speech a semantic load, aestheticism and an inspiring aspect to deepen contemplation. The irony is a method expresses the meaning that differs the deep structure to the surface; the reader finds the difference between surface and depth. In other words, there are two levels of meaning in one expression: a superficial level, and disappear level, and the reader recognizes the inconsistency between them and reach to the desired meaning. Following a descriptive-analytical approach, this article clarifies the aesthetic aspects of the Qur'ānic Ironies concerning disbelievers on their different positions. In order to avoid misundrestanding, it shall be mentioned that ironies in the Qur'ān is not logical paradoxes, but it is one of the components of literariness and tecnical illustration mechanisms. Irony has been influented by the factors in the Qur'ānic aesthetic which are defamiliarization, conciseness, foregrounding of the word and meaning, truth, fear and mocking.

**Keywords: The Qur'ān, Semantic Deviation, Paradoxes, Literariness of Speech.**

1. Ph.D. Student, Department of Arabic Language & Literature, University of Isfahan.
2. Professor, Department of Arabic Language & Literature, University of Isfahan. Email: mohammadkhagani@yahoo.com
3. Associate Professor, Department of Arabic Language & Literature, University of Isfahan.
4. Asistant Professor, Department of Arabic Language & Literature, University of Isfahan.